٢٤ الصالح أمير حاج بن شعبان ٧٨٣-٧٨٤ خلع

وأمير حاج هذا هو آخر من ولى الملك من بنى قلاون وآخر دولة المماليك الاولى وهم المماليك البحرية مماليك الملك الصالح نجم الدين أيوب

الدرس الاربعون

دولة الشراكسة

بعد خلع أمير حاج اتفق الامراء والجند على تولية

(١ - الظاهر برقوق بن أنص)

وأصله من مماليك الاتابكى يلبغا وهو شركسى الجنس وما زال يترقى حتى صار ملكا على مصر والشام وبلاد الحرمين وهو الذى بنى تلك المدرسة الجميلة الصنع المسماة بجامع برقوق فى شارع النحاسين

وقد نالته فى سلطنته خطوب من ثورة مماليكه حتى

أنه خلع مرة وأعيد أمير حاج فاختفى برقوق مدة ثم عاد الى سلطنته بعد أن كابد الاهوال واستمر سلطانا حتى توفى سنة ٨٠١

٢ ـ الناصر فرج بن برقوق

تولى بعد أبيه بعهد منه وعمره نحو اثنتى عشرة سنة وفى عهده كانت وقائع بين المصريين وبين عسكر التتار واستولى تيمورلنك على حلب وقتل كثيراً من أهلها وكذلك فعل بحماه كل ذلك والناصر لاه بشبوبيته وبعد كل هذا جند جنده وتوجه الى الشام وقبل أن ينتهي أمر مع التتار عاد الى مصر حيث بلغه شيء قام به المماليك ضده فلما عاد دخل تيمورلنك دمشق وفعل بها الافاعيل : قتل من أهلها كثيراً وأخذ أموالهم وخرب ديارهم حتى عادت بعد بهجتها كانها صحراء ثم رحل عنها بعد نحو ثلاثة أشهر ولم يفعل السلطان شيئا لوقاية هؤلاء المساكين

ولم يزل الناصر على حاله حتى خلع سنة ٨٠٨

(٣ ـ المنصور عبد العزيز بن برقوق)

ولى بعد أخيه وعمره عشر سنين ولكن لم يتم أمره فان أخاه الناصر عاود الكرة فساعده بعض المماليك حتى أعادوه سلطانا فاستمر حتى أوحش الامراء مرة ثانية فخلعوه بعد أن حاربوه سنة ٨١٥ ثم قتلوه بعد ذلك

واتفق رأيهم على أن يولوا الخليفة العباسى سلطانا وهو المستعين بالله العباس بن محمد المتوكل فعرضوا عليه ذلك فقبل ونودى به سلطانا فى ١٧ محرم سنة ٨١٥ ولكن ذلك لم يرق طبعا فى عين المماليك أن يتولى الملك فيهم عربى فخطر ببال الاتابكى شيخ أن يخلعه وساعده جنده فخلعه بعد ستة أشهر من ملكه

(٤ ـ المؤيد شيخ)

بويع بالسلطنة بعد خلع الخليفة العباس سنة ٨١٥ وأصله من مماليك الظاهر برقوق وهو الذى بنى ذلك الجامع العظيم

المعروف بجامع المؤيد بالقرب من باب زويلة وقد تناهى فى زخرفته ورخامه وسقوفه وأبوابه فلم يبن فى القاهرة مثله ولكنه ظلم الناس فى تحصيل رخامه فصار أعوانه يكبسون البيوت والحارات بسبب الرخام . ومن ظلمه أنه أخذ باب مدرسة السلطان حسن وجعله لمسجده وأخذ العمودين اللذين فى محراب جامع قوصون ووزع أخشاب سقوفه ودهانها على أعيان المباشرين

ومن محاسنه أنه أبطل مكس الفواكه قاطبة ونقش ذلك على رخامة وجعلها بباب الجامع لما تم بناؤه

وكان المؤيد ملكا جليلا كفأ للسلطنة عارفا بأحوال المملكة وافر العقل مقداما فى الحرب وكان يقرب أرباب الفنون فكانوا يتباهون فى فنونهم لجودة فهمه وحسن معرفته وكان يعرف فن الموسيقى وله أشياء كثيرة يغنى بها المغنون فى عهده . ومما عد من مساويه انه كان جهورى الصوت سفيها فى كلامه

توفى سنة ٨٢٤ ودفن فى جامعه

(٥ المظفر احمد بن شيخ)

ولى بعد موت أبيه وله من العمر سنة واحدة وثمانية أشهر فكان مرضعا ولكن الامراء اتفقوا على سلطنته وبايعه الخليفة مكرها وكان يدبر أمره الامير طَطَر ولم يطل هـذا الامر نحو سبعة أشهر فان ططر تطلع الى الملك ولم يجد معارضا فخلع المظفر وملك هو

(٦ ـ الظاهر ططر)

ولى بعد خلع المظفر وأصله من مماليك الظاهر برقوق ولم يطل ملكه فانه توفى بعد ثلاثة أشهر ودفن بجوار قبر الامام الليث

(٧ ـ الصالح محمد بن ططـر)

ولى بعد موت أبيه سنة ٨٤٢ وعمره ١١ سنة وكان يدبر أمره الامير برسباى وقد تطلع للملك كالعادة فخلع الصالح بعد ثلاثة أشهر

(٨ - الاشرف برسباى)

ولى بعد خلع الصالح محمد سنة ٨٢٥ وأصله من مماليك الظاهر برقوق وكان برسباى ملكا جليلا مبجلا فى موكبه وكان منقادا الى الشريعة ويحب أهل العلم ويقربهم وضرب نقوداً كانت معتبرة أحسن النقود المصرية وله مدرسة أنشأها باسمه في الصحراء ودفن بها وكان يعد فى مصر من أحسن ملوك الشراكسة . توفى سنة ٨٤١

(٩ - العزيز يوسف بن برسباى)

ولى بعد موت أبيه وعمره ١٤ سنة وكان مدبر أمره الاتابكى چقمق وله الامر والنهى وللسلطان الاسم ولم يدم هـذا الحال الا ثلاثة أشهر حيث طمع چقمق فى المملكة وخلع يوسف

(١٠ - الظاهر چقمق)

ولى بعد خلع يوسف سنة ٨٤٢ واصله من مماليك الظاهر

برقوق وكان ملكا عظيما جليلا دينا خيرا متواضعا يحب العلماء وينقاد الى الشريعة ويقوم للعلماء اذا دخلوا عليه وكان يحب الايتام ويكتب لهم بما يقوم بمعاشهم وكانت البلاد فى أيامه هادئة من الفتن وكان فصيح اللسان بالعربية متفقها . ومن مساويه أنه كان اذنا يسمع السعايات والوشايات وهذا فساد عظيم . توفى سنة ٨٥٧

(١١ ـ المنصور عثمان چقمق)

ولى بعد أبيه وسنه ١٩ سنة وفى أول ملكه احتاج الى مال ينفقه على جنده ولم يكن بخزينة أبيه سوى ثلاثين الف دينار فشكا ذلك الى ناظر خاصته (ويسمى عندهم ناظر الخاص) فاخرجه من الكرب بمظلمة وهى أنه ضرب دنانير ينقص كل دينار عن الاشرفى قيراطين وسماها المناصرة وأراد أن ينفق منها على الجند فهاجوا ونفروا من السلطان وترتب على ذلك أنهم خلعوه بعد ٤٣ يوما

﴿ ١٢ ـ الاشرف اينال ﴾

ولى بعد خلع عثمان وأصله من مماليك الظاهر برقوق وكان ملكا هينا لينا قليل الاذى ولولا جور مماليكه وتعديهم على العامة لكان خير ملوك الشراكسة وكان أميا لا يقرأ ولا يكتب فكانوا يخطون له على المراسيم حتى يمر عليها بالقلم

ومما عد من محاسنه فى سلطانه فى تلك الايام أنه لم يسفك دما بغير حق . توفى سنة ٨٦٥ ودفن بتربته التى بالصحراء

﴿ ١٣ ـ المؤيد احمد بن اينال ﴾

تولى بعد أبيه بعهد منه وكانت بينه وبين الامراء وحشة فثاروا عليه وخلعوه بعد أربعة أشهر

﴿ ١٤ ـ الظاهر خشقدم ﴾

ولاه الامراء بعد خلع أحمد وأصله رومي الجنس جلب للمؤيد شيخ فكان مملوكه واليه ينسب وقد رضى عنه المماليك واستقامت أمورهم حينما أعطاهم مرتباتهم وأقطاعاتهم تامة

وبعد أن استتب له الملك قبض على كثير من الامراء الذين يخشى شرهم فتم له السلطان . وكان فصيح اللسان بالعربية وأيامه كلها هادئة ولكن مماليكه كانوا جائرين على العامة وكان سريع العزل للقضاة والمباشرين ويأخذ أموالهم توفى سنة ٨٧٢

(١٥ ـ الظاهر بلباى)

ولى بعد وفاة أبيه خشقدم وأصله شركسى الجنس جلب للمؤيد شيخ فكان من مماليكه وكان يدعى بلباى المجنون ولم تظهر عليه قوة الملك لانه كان خشنا قليل المعرفة فخلعه الامراء والمماليك فى السنة التى ولى فيها

(١٦ ـ الظاهر تمربغا)

ولى بعد خلع بلباى وأصله رومى الجنس اشتراه السلطان جقمق ولم يطل زمنه فان الامراء ثاروا به وخلعوه بعد ٥٨ يوما

الدرس الحادي والاربعون

(١٧ الاشرف قايتباى)

ولى بعد خلع تمربغا وأصله شركسى اشتراه الاشرف برسباى وهو من أطول المماليك مدة فانه بقى سلطانا ٢٩ سنة من سنة ٨٧٢ الى سنة ٩٠١

وفى عهده ازدادت نفقات الجند لكثره المتطلعين الى الاغارة على البلاد الشامية فقد خرج عليه من يدعى بشاه سوار وكسر جنده مرات ولم تتغلب عليه الجنود المصرية الا بعد العناء والمصاعب

وكانت الدلة العثمانية قد شرعت توسع فى أيامه سلطانها فكان يهاب شرها

والجنود التى يجندها تستدعى نفقات طائلة فكان يوزع ذلك على الناس فيتكلفون دفعها على الرغم منهم . ومما يؤثر من العبر من جراء ذلك ان السلطان أمر مرة بعقد مجلس

شوراه وفيه الخليفة العباسي والقضاة الاربعة ومشايخ من العلماء وسائر الامراء ولما تكامل جمعهم قام كاتب سر السلطان وعرض على المجلس مامفاده ان الجند فى حاجة الى النفقة وان كثيراً من الناس معهم زيادة فى أرزاقهم ووظائفهم وان الاوقاف قد كثرت على المساجد والجوامع وان قصد السلطان أن يبقى لها مايقوم بالشعائر فقط والباقى يحجز لنفقة الجند فقال الخليفة والقاضى الى اجابته لانهم عرفوا أن ذلك رأى السلطان وبينما هم على ذلك إذ حضر شيخ الاسلام أمين الدين الانصرائى الحنفى فاعلم بما كان فأنكره غاية الانكار وقال على الملأ منهم لا يحل للسلطان أن يأخذ أموال الناس الا بوجه شرعى واذا نفد جميع ما فى بيت المال ينظر ما فى أيدى الامراء والجند فيأخذ منه ما يحتاج اليه واذا لم يوف بذلك ينظر فى المهم ان كان ضروريا للمنع عن المسلمين حل ذلك بشرائط متعددة. هذا هو دين الله ان سمعت آجرك الله على ذلك وان لم تسمع فافعل ما شئت فانا نخشى من الله ان يسألنا يوم القيامة ويقول لنا لم لا نهيتموه عن ذلك وأوضحتم له الحق ولكن السلطان

ان أراد أن يفعل شيئا يخالف الشرع فلا يجمعنا ثم قام فخار السلطان عند سماعه هـذا الجواب وانفض مجلسه على غير طائل . وأمثال هذا الشيخ الذين يقولون ما يعتقدونه من الحق قليلون فى كل زمان . ومن الغريب ان حصلت هـذه الواقعة مرة أخرى فلم يغير الشيخ رأيه ولكن ذلك لم يمنع السلطان الظالم عما يريد

وفى عهده سنة ٨٨٠ ابتدأ الاتابكى أزبك بانشاء الازبكية نسبة اليه وكانت بقعة أرض خرباذات كيمان فى أرض سبخة فعمرها أزبك وبنى بها القاعات الجميلة والقصور المشيدة بعد ان أصلح ارضها وحفر بها بركة وأجرى اليها الماء من الخليج الناصرى وبنى عليها رصيفا يحيط بها وكان يشتغل فيها بنفسه ثم شرع الناس يبنون على هذه البركة القصور الفاخرة والاماكن الجليلة وقد رغب الناس بعد ذلك فى سكناها حتى صارت تعد مدينة على انفرادها

وكان قايتباى يعد من أحسن ملوك المماليك ولكن عيبه العظيم أنه كان محبا لجمع المال ناظرا لما فى أيدى الناس

ولولا ذلك لعد من خيار الملوك

وقيل أن ماصرفه على الجنود مدة ولايته ٧٠٦٥٠٠٠ دينار غير الذى صرفه على الجنود عند رجوعهم

وكان له اشتغال بالعلم ويعرف أقدار الناس وينزلهم منازلهم

وله منشآت من الابنية تنيله الذكر الحسن منها عمارة المسجد النبوى . وأنشأ قبة عظيمة على القبر الشريف وأنشأ هناك مدرسة مطلة على الحرم كما أنشأ مدرسة بمكة وبيت المقدس ودمشق وغزة ودمياط وثغر الاسكندرية وأنشأ بالاسكندرية برجا عظيما مكان المنار القديم وله الجامع العظيم بالصحراء المسمى بجامع قايتباى وجوامع أخرى بالقاهرة وجدد عمارة القبة بالامام الشافعى . وجدد عمارة قناطر أبى المنجا والقناطر التى بشبرامنت بالجيزة وأنشأ هناك رصيفا وجدد مقام السيد البدوى

توفى سنة ٩٠١ ودفن بتربته فى الصحراء

(١٨ الناصر محمد بن قايتباى)

ولى بعد أبيه وعمره ١٤ سنة وكان يدبره أتابكيه المدعو قانصوه وقد خطر بباله أن يخلع الناصر ويكون بدله فعرض ذلك على القضاة وبعض الامراء فأجابوه الى طلبته فتعصب للناصر بعض المماليك وحاربوا قانصوه حتى هزموه ولم يتم خلع الناصر ولكنه لم يسر فى أمره سيرة الملوك بل كان طائشا يشبه فكره فكر الاطفال ويلعب كما يلعبون وكان آخر أمره أن سخط عليه بعض المماليك فقتلوه سنة ٩٠٤ وكانت كل أيامه شرورا وفتنا تعطلت فيها مصالح البلاد ولم يكن فى السبل أمن لصغر عقل السلطان وطيشه

(١٩ ـ الظاهر قانصوه)

ولى بعد قتل الناصر وأصله شركسى الجنس كان مملوكا لقايتبـــاى اتفق الامراء على توليته وقد فرح الناس بها لخلاصهم من سلفه البغيض ولم يطل ملك الظاهر فانه خلع سنة ٩٠٥

(٢٠ الاشرف جنبلاط)

ولى بعد خلع قانصوه واصله مملوك شركسى للاشرف قايتباى ولم تكن العسكر راضيـة بملكه الا أنه قام بنصرته أمير منهم اسمه طومان باى فمهد له السبيل الى ذلك ومع ذلك فهو الذى بغى عليه فى آخر أمره وخامه ثم قاتله وقبض عليه

وكانت مدة جنبلاط كلها مصادرات للناس فى أموالهم وكان غليظ القلب عسوفا ظالما وانتهى أمره سنة ٩٠٦

(٢١ ـ العادل طومان باى)

بعد القبض على جنبلاط بويع بمصر العادل طومان باى وفرح الناس بولايته لعسف سلفه ولكن مدته لم تطل الا نحو ثلاثة أشهر حيث قام عليه المماليك في آخرها فاختفى

(٢٢ ـ الاشرف قانصوه الغورى)

ولي بعد طومان باى سنة ٩٠٦ وهو بانى القبة التى تنسب اليه وتجتمع فيها الجمعية المبـاركة التى تشتغل لخير الفقراء من المسلمين وهى الجمعية الخيرية الاسلامية

وفى عهده عظم أمر العثمانيين فى عهد السلطان سليم فوجه همته الى الاستيلاء على الشام ومصر والحرمين فخرج اليه الغورى فى جند عظيم وتلاقى الجيشان بمرج دابق من أرض الشام فانكسر أهل مصر انكساراً عظيما وقتل الغورى وسط المعركة وذلك فى ٢٥ رجب سنة ٩٢٢ وبعد ذلك تحول السلطان سليم فملك حلب من غير ممانعة ولما عاد الامراء المنهزمون من مرج دابق الى مصر اتفق رأيهم على تولية طومان باى

الدرس الثانى والاربعون

٣٣ ـ الاشرف طومان باى

وأصله من مماليك الاشرف قايتباى وكان السلطان سليم قد استولى على بلاد الشام كلها وقدم بجنده يريد الاغارة على مصر فجند طومان باى الجنود وخرج بهم خارج القاهرة ينتظرون قدوم الجيش العثمانى حتى اذا جاؤا بعددهم العظيم قابلهم المصريون فى أوائل الريدانية فكانت بين الفريقين

وقعة هائلة انتهت بهزيمة طومان باى ومن معه فدخل العثمانيون القاهرة وخطب للسلطان سليم على منابرها وتعقبوا المماليك الشراكسة حتى كادوا يفنونهم عن آخرهم

أما السلطان طومان باى فلم ينقطع أمله وجمع بعض الجمع يريد اعادة الكرة فلم يوفق وكان ظهوره سببا لافحاش العثمانيين فى السلب والنهب وايذاء أهل مصر حتى حل بهم من المصايب والرزايا ما لم يكونوا يتصورونه وصار العثمانيون يهجمون على الناس فى بيوتهم ويخرجونهم منها ويحلون محلهم

وفى آخر الامر قبض على طومان باى بعد الجهد والعناء وشنق على باب زويلة وكانت مدة ملكه ثلاثة أشهر ونصف

وبموته انتهت دولة المماليك الثانية وكان مجموع مدة المماليك فى الدولتين نحو ٢٧٥ سنة

عموميات على هذه الدولة

ان كان هناك آثار ظاهرة ملوكية فى مصر والشام فانما

تنسب الى هذه الدولة . تأمل المساجد الكبرى ومنها ما كان معداً لدراسة العلم وتعرف من بناه تجده من رجال دولة المماليك إما ملكا وإما أميراً والمنسوب الى غيرهم قليل ولعلهم أرادوا أن يكفر الله عنهم بذلك كثيراً من السيئات التى كانوا يرتكبونها فى أحكامهم

كان الملك أو الامير فى هذه الدولة حراً فى الرعية فاذا غضب لا يقوم لغضبه شيء فان شاء قتل وان شاء صادر فأخذ الاموال وفضح العيال وليس هناك من يقدر أن يقول له لم فعلت ولم قتلت . وفى كثير من الاحيان كان يسلط الله بعضهم على بعض فيقبض الملك على أمرائه ويزجهم فى السجون ثم يخنقهم ويتمتع باموالهم أو تقوم الامراء على الملك فيقضون على حياته ويولون غيره

فى دولة المماليك الاولى ٢١ ملكا من ٢٤ خلعوا أو قتلوا وثلاثة توفوا وفى دولتهم الثانية ١٥ من ٢٣ خلعوا وقتلوا وثمانية توفوا

والمصائب فى هذه الحوادث كانت الرعية تنال النكد

الا كبر منها حيث تتعطل مصالحهم فلا يأمنون على ما بأيديهم في وقت الفتن

وإذا احتاج الملك منهم الى شيء من النقود لسد حاجة من حاجاته فسرعان مايصدر أمره بأنواع من المظالم فتجبى الاموال ويلاقى الناس من الاهانات مالا مثيل له حتى تربت الرعية على الخوف والرعب ورأوا أن حيلتهم الواحدة للخلاص من الشر أحيانا هى الكذب ربما كان ينجيهم لان أنواع العقوبات التى تسلط حينئذ على بدن المنكر تخرج منه ماعنده فيعدم نفسه ويعدم ماله

وكانت الاراضى الزراعية قبل دولتهم قبالات يتقبلها الناس من أيدى من يتولى الخراج بقدر معين يحسب له منه ما يلزم الارض من رم الجسور واصلاح الرى ويورد الباقى لديوان الخراج . أما فى عهدهم فصارت اقطاعات والمزارع المقيم بالبلدة يسمونه فلاحا فيصير عبداً قنا لمن اقطع تلك الناحية من الجنود والامراء الا أنه لا يرجو قط أنه يعتق أو يباع بل هو قن ما بقى ومن ولد له كذلك

وكانت المظالم التى تجبى بها الاموال تكثر وتقل حسبما كان عليه الملوك من العدل والظلم وخير الملوك من هذه الجهة السلطان الناصر محمد بن قلاون فانه أبطل أنواعا كثيرة من هذه المظالم وكان يتحصل منها للديوان وللناهبين شىء عظيم

أما حالة العلم والعلماء لعهدهم فكانت متوسطة وقد نبغ فى مصر أيامهم كثير من علماء الدين كجلال الدين السيوطى وشيخ الاسلام زكريا الانصارى وغيرهما الا أن الكتابة العربية كانت منحطة جداً لان الدولة تركية فلم يكن السلطان يحس بشىء من جيدها ورديئها وذلك مما يساعد على عدم النبوغ فيها بل على عدم الاهتمام بها بالمرة

وبالجملة فسلطنة المماليك على مصر كان شرها أكثر من خيرها ويكفى الامة عاراً وحطة أن يشترى الملوك اليوم بالدراهم ثم يصير بعد حين ملكا مهيمنا عليها

الدرس الثالث والاربعون

(مصر)

تحت حكم الدولة العثمانية

بعد أن تأسست الدولة العثمانية على يد مؤسسها السلطان عثمان الاول ومدت ظل سلطانها فى عهد خلفائه على جزء عظيم من أوربا وآسيا تطلعت الى الاستيلاء على قلب العالم الاسلامى المكون من مصر والشام والحرمين وبغداد. وقد فكر السلطان سليم الاول تاسع سلاطين بنى عثمان أن يغزو السلطنة المصرية فيجمع الى ما بيده أرضا عظيمة مادة ومعنى وقد كانت حال المماليك فى عهده مساعدا له على نيل امنيته فأخذ البلاد الشامية وجاء الى مصر فقهر السلطان طومان وشنقه على باب زويلة وتسلم مملكة مصر وجعل مصر ايالة تابعة له كما جعل كذلك الشام والحجاز

وقد مكث السلطان سليم بمصر نحو ثمانية أشهر رتب فيها أمرها ومهد قواعدها ثم رحل الى الاستانة بغنائم كثيرة وعدد عظيم من أرباب الحرف والصنائع التى كانت مصر

معروفة بها لذلك العهد واستصحب معه آخر الخلفاء العباسيين بمصر وهو المتوكل على الله العباسي بعد ان استنزله عن الخلافة فخلع نفسه منها وتنازل عن حقوقها وفوض أمرها الى سلاطين آل عثمان

وقد جعل لمصر نائبا عنه فى ادارة أمورها واستمرت الحال على ذلك من سنة ٩٢٣ وهى سنة استيلاء العثمانيين على مصر الى سنة ١٢١٣ وهى سنة استيلاء الفرنسيين مثنان وتسعون سنة كانت مصر أثناءها فى أردأ حال مرت عليها فان السلطان سليم بهدمه لسلطان المماليك الذين كان لهم خير وشر أزال ما كان يجرى على أيديهم من الخير وأبقى على الناس ما كانوا يجنونه من الشر فقد حل محل جند المماليك جند آخر لا هم له الا الفساد والشر وعصيان الاوامر . نعم لم يكن لهم هم الا سلب الاموال ونهب ما بيد الناس لا يبالون بشىء من ذلك وعليهم أن يرسلوا للسلطان نصف ما يحصلونه من الخراج

بذلك كانت مصر مرسحا للفتن والاضطراب والاهالى بين

ذلك فى أتعس حال وأضنى عيش وطالما انتهز الاعراب فرصة الفتن بين الجنود ورؤسائهم فأتموا على الناس أمر مصائبهم وتحكموا في أنفسهم وأموالهم ولا رادع لهم

وقد زاد الامر شدة لما أرسلت الدولة سنة ١٠٢٧ أربعة آلاف عسكرى مبعدين عن مقر الحكومة لتمردهم وكلفت والى مصر أن يرسلهم الى اليمن حين حضورهم الى مصر . فلما حلوا بأرضها وطلب اليهم السفر عصوا وأقفلوا باب الفتوح وباب النصر وعملوا متاريس بالطرق والشوارع واستولوا على كثير من المنازل ووصلوا بعضها الى بعض فوجه اليهم الوالى العساكر فاقتتل الفريقان قتالا شديدا واستمرت الفتن بين العساكر الى سنة ١٠٣٥ بما يتخلل ذلك من الغلاء الفاحش وفقدان الامن تماما

وفى سنة ١٠٣٧ فى زمن الوزير محمد باشا عين العساكر للسفر الى بلاد الحبشة صحبة الامير قانصوه فسكروا بالعباسية وجعلوا يخطفون الاولاد والبنات ويفتكون بالمارين ويسلبون وينهبون حتى انقطعت الطرق وضاق ذرع الناس وحل بهم

الكرب من كل مكان ولم يجدوا مغيثا . ولم تكن المصائب قاصرة على ما يحصل من العسكر والعرب بل كثير من الامراء كان لا فكرة له الا فيما يجلب به الضرر للناس وجمع أموالهم كما فعل أحمد باشا الذى كان يلقب برامى النحاس فانه جلب نحاسا كثيراً وأراد عمله فلوسا فأنشأ بحوش بردق (أنبردى) الوجاقات ووضع المسابك وجمع الصناع فلم يحصل له شيء مما كان يؤمل فرماه على التجار وعلى سائر أرباب الحرف والطوائف فلحق الناس من ذلك مالا مزيد عليه من الضنك والشدة . وكان أكثر الحكام يقرر الرشوة على الناس ثم يستعملها من بعده حتى تصير كأنها حقوق ثابتة

وفى سنة ١٠٧١ حصلت واقعة الصناجق وهى وقعة هائلة انقسم فيها الامراء أحزابا واشتعلت نيران الحرب فى شوارع القاهرة وضواحيها وامتد ذلك الى الاقاليم القبلية وجهز فيها الوالى عدة تجاريد حتى انتهت بقتل أغلب الامراء القفارية المنسوبين الى رئيسهم ذى الفقار وذهبت صولتهم وجاء بعد ذلك الى مصر قوم حضروا من الشام أغلبهم

أروام ودروز فانخرطوا فى سلك العسكرية ووصل بعضهم الى المناصب العالية وانضموا الى محمد بك حاكم جرجا وصاروا انصاره وأخذوا فى الظلم والايقاع بالناس وأكثروا من النهب والسلب وكانوا يقتلون الناس على أقل سبب فرفع الناس شكواهم الى الوالى فزجرهم فلم يزدجروا بل زادوا فى طغيانهم وفتكوا بالناس فاضطر الوالى لمحاربتهم وكانوا قد تحصنوا بجامع المؤيد فحاصرهم فيه وقاتلهم قتالا شديداً مات فيه خلق كثير وخربت فيه عمائر كثيرة فى العسكرية والداودية وقصبة رضوان والدرب الاحمر وتحت الربع وما جاور ذلك وآخر الامر تغلب عليهم الوالى فأخذهم وقتلهم

وفى سنة ١١٧٩ استقل على بك الكبير بأمور مصر وخلع الباشا المعين من قبل الدولة وقويت شوكته جداً ولم يزل كذلك حتى ثار عليه مملوكه محمد بك أبو الذهب صاحب المسجد المسامت للازهر المعمور فتحاربا حربا كانت النصرة فيها لمحمد بك فاستقل بالامر الا أنه لم يطل عهده فقام من بعده مرادبك وابراهيم بك وتصرفا فى البلد وأخذا فى التعدى

على الامراء وغيرهم فقام الامراء ضدهما فأعدا مماليكهما ولكنهما خذلا ففرا الى الاقاليم القبلية واستقل بالامر اسمعيل بك ولكن أمر مراد بك وابراهيم لم ينته فتربصا بالامر حتى استعدا ولم تزل الحروب بين الفريقين متوالية حتى انتهى أمر اسمعيل بك وعاد مرادوابراهيم ولكنهما لم يتفقا. وفى سنة ١١٩٩ عمت البلوى بمصر من الطاعون فكانت هذه الايام لامثيل لها فى الشدائد لما حصل فيها من الغلاء والفناء والفتن وقصور النيل وتواتر المصادرات والمظالم وتعدى الامراء وانتشار اتباعهم فى النواحى لجلب الاموال من القرى والبلدان واحداث أنواع المظالم حتى أهلكوا الحرث والنسل وقل الزرع وضاق الذرع واشتد الكرب وتشتت الفلاحون من بلادهم فخربت أغلب بلاد الارياف فلما رأوا عدم الفائدة من الفلاح حواوا الطلب على الملتزمين وبعثوا لهم فى بيوتهم فاحتاج مساتير الناس لبيع أمتعتهم ودورهم ومواشيهم وحواشيهم مع ماهم فيه من المصادرات الخارجة عن الحد وتتبعوا من يشم فيه رائحة الغنى فأخذوه وحبسوه وكلفوه فوق طاقته أضعافا ووالوا طلب

السلف أيضا من تجار البن والبهار عن المكوسات المستقبلة وطمع ابراهيم فى الواريث فكانوا اذامات الميت يحيطون بمخلفاته سواء كان له وارث أم لا حتى صار بيت المال من جملة المناصب التى يتولاها شرار الناس بجملة من المال يدفعها كل شهر ولا يعارض بعد ذلك فيما يفعل من الجزئيات وأما الكليات فيختص بها الامير فيحل بالناس مالا يوصف من العناء والبلاء حتى خرب الاقليم بأسره وانقطعت الطرق وفقد الامن ومنعت السبل الا بالخفارة وركوب العرب وانتشر الفلاحون فى المدينة بنسائهم وأولادهم يضجون من الجوع ويأكلون ما يتساقط فى الطرقات من قشر البطيخ وأوراق الشجر حتى لا يجد الزبال شيئا يكنسه من ذلك واشتد الكرب حتى أكلوا الميتة من الخيل والحمير والبغال ومات الكثير جوعا ومع ذلك كانت الامراء تنهب فى المدينة ورجالهم ينهبون فى بلاد الارياف وما من مجير

كل ذلك جرى فى هذه البلاد أيام أولئك المماليك الذين لا نظام ولا رادع لهم حتى تأذن الله سبحانه بتغيير شىء من

الحال على يد الدولة الفرنسية التى يعتبر دخولها مصر بدء تزعزع لسلطة هؤلاء المماليك الذين لا رادع لهم من دين أو عقل وكان ذلك سنة ١٢١٣

الدرس الرابع والاربعون

(مصر)

تحت حكم الفرنسيين

فى محرم سنة ١٢١٣ دخلت العساكر الفرنسية مدينة الاسكندرية تحت قيادة نابليون بونابرت . ولما علم بذلك مراد بك جمع لهم جمعا فقابلوه عند الرحمانية بمديرية البحيرة وهزموه الى انبابه فتبعوه اليها وكانت بين الفريقين واقعة لم تدم أكثر من ثلاثة أرباع ساعة وانتهت بخذلان مراد بك فدخلت العساكر الفرنسية القاهرة وسكنوا بيوت أمراء المماليك فسكن بونابرت بيت محمد بك الالفى بالازبكية واتخذ

أمير منهم ما استحسنه من بيوت أمراء المماليك مسكنا
كانت معاملتهم فى أول الامر للمصريين فيها لين ورفق
ن الامر تغير بعد ذلك فقسا الفرنسيس فى المعاملة وفرضوا
الناس أموالا يدفعونها وقالوا انها سلف ترد فحصل بذلك
راء أشد المضايقة واستعمل الفرنسيس فى البحث عن
ك المماليك وودائعهم كثيراً من الظلم والعسف وصارت
ا كر تدخل البيوت وتنهب ما فيها من غير مبالاة فحاق
اس الكرب والخوف وصاروا فى حيرة اذا أقاموا فى
هرة رأوا مظالم الفرنسيس واذا خرجوا عنها كانوا عرضة
نح العرب وعسكر مراد بك وابراهيم بك

ثم ألفوا مجلسا مركبا من ستة من كبار المسلمين ومثلهم
تجار النصارى لتحقيق حجج الاملاك وقرروا مبالغ تؤخذ
الوارث والمبايعات والدعاوى فلحق بالناس من هذه
امات ما لحقهم وكثر عويلهم وشكواهم ولا معين
نصير

لما تمكنت الوحشة بين الاهالى وبين الفرنسيس أخذ هؤلاء

فى الاحتياط لانفسهم فهدموا أبنية كثيرة من حول القلعة وزادوا على بدنات باب العزب بالرميلة وغيروا معالمها ومحوا ما كان بها من آثار الحكماء والعلماء ومعالم السلاطين وما كان فى الابواب من الاسلحة والدرق والبلط والحراب الهندية وهدموا من داخل القلعة قصر يوسف صلاح لدين . وطلب النقود من البلاد لم يزل متواليا وتنويع الفرض مستمراً فلم يلحق بأهالى القطر أشد ولا أعظم مما لحقهم فى هذه المدة لان العرب كانت تهجم على البلاد وتستحوذ على ماوجدت من أموال الاهالى ويعقبهم الغز يسلبون وينهبون ويليهم الافرنج يقتلون ويفجرون فعجزت الناس عن تحمل مثل هذه الاحوال خصوصا أهل القاهرة فاحتشدوا بشارع بين القصرين وعملوا متاريس فى بعض الحارات وحصلت بينهم وبين الفرنسيين مناوشات فكانت المدافع تضرب من القلعة على هذه الجهة وعلى الجامع الازهر فتخرب بهذا السبب جملة من البيوت وتشتت كثير من الناس ومات كثير منهم وشدد الفرنسيون على الاهالى زيادة على ما كان وضربوا عليهم فرضا مستجدة وأخذوا

ونها بأى نوع من الطرق وأخلوا جهة الازبكية من أهلها
كنوا بها رجالهم ومن انتمى اليهم من نصارى الشام والقبط
وكان مجموع المدة التى أقامها الفرنسيون بمصر ثلاث
ن واحد عشر يوما من ٩ صفر سنة ١٢١٣ الى ٢١ صفر
١٢١٦ تخللها كثير من المظالم استعملها الفرنسيون المتمدنون
ب وسطاء السوء بينهم وبين المصريين ولم تر البلاد فى
هم يوما من الراحة من الغرامات التى توالى فرضها على
مالى وفقدان الامن فقدانا تاما وقد انتهى أمر خروجهم
يد الوزير يوسف باشا الذى ارسلته الدولة لاستخلاص
ر بمساعدة العساكر الانجليزية التى رافقت العثمانيين فى
ه الحملة وكان يوم خروجهم من مصر يوما جليلا عند
ريين الذين قابلوا يوسف باشا بالسرور والافراح وكانوا
لون الخير العميم بهذا التغير

ومن أكبر مايذكره المصريون للفرنسيين بالسوء أهانتهم
امع الازهر بعد أن كان هو وما يجاوره من الدروب
لحارات مأمنا للناس على أنفسهم وودائعهم

المدة

(بين سنة ١٢١٦ وسنة ١٢٢٠)

فى هذه المدة لم تهدأ الحال بمصر بل ازداد التعب وعم الاضطراب جميع الخلق وتخرب الكثير من منازل مصر وضواحيها وقاسى الناس خصوصا التجار والمستورين من الغرامات والكلف ما لا يمكن وصفه خصوصا فى عهد أول الولاة بهذه المدة وهو محمد باشا المعروف بأبى مرق ، دخل مصر بموكب حافل وفرح الناس بقدومه ظانين أن ينالوا الراحة والامن فخاب ظنهم لعدم قيامه برعاية المصالح فان النصارى والاروام الذين كانوا مع الفرنسيين وحصل منهم الاذى للمسلمين اندرجوا مع الارنؤود والعسكر ومن بالبلد من الاتراك وجعلوا يعيثون ويعربدون بأنحاء القاهرة وينهبون الاهالى ويطردونهم من منازلهم ويسكنونها واستعملوا فى السلب أنواع الحيل فربما جلس العسكرى على دكان بدعوى الاستراحة أو شراء شىء ثم يقوم ويعود بعد قليل قائلا إنه

نسى كيسه أو فقد دراهما ويجعل ذلك سببا لاهانة صاحب الحانوت ونهب ما عنده وعم الفساد وشاركوا الباعة فيما يبيعونه وساهموا التجار فيما يربحون وضاق خناق الخلق واتسع ميدان الكرب خصوصا فى جهات الارياف وانتهت شدة المصاعب حتى قال قاضى العسكر (لاسامحه الله) بأن الاملاك كافة صارت للدولة لان انتصارها على الفرنسيين بعد فتحا جديداً ولكن العلماء عارضوه وضج أصحاب الاملاك وأكثروا الشكوى حتى لم ينفذ ما قاله ولكن الباشا أكثر مصادرة من ثم فيه رائحة الثروة وأكثر من الفرض على التجار وغيرهم.

ولم تزل الحال على ذلك وأشد منه مما لا يمكن وصفه حتى تأذن الله بانقضاء تلك الكوارث وذهاب امرة المماليك من أرض مصر ودخول البلاد فى عصر جديد يشم فيه الفلاحون رائحة الحرية التى غابت عنهم منذ أزمان كل ذلك كان على يد ذلك البطل العظيم الحاج محمد على باشا مؤسس الدولة العلوية بمصر حفظها الله ورعاها وجعل خير البلاد على أيديها

وكانت توليته فى شهر صفر سنة ١٢٢٠

الدرس الخامس والاربعون

(مصر)

في عهد العائلة المحمدية العلوية

٤

سعيد

١٢٧٠ ـ ١٢٧٩

١	٢	٥	٦	٧
محمد علي	ابراهيم ـ	اسمعيل ـ	محمد توفيق ـ	عباس حلمي الثاني
١٢٢٠	١٢٦٥-١٢٦٥	١٢٧٩-١٢٩٦	١٢٩٦-١٣٠٩	١٣٠٩
١٢٦٥				

٣

طوسون ـ عباس الاول

١٢٦٥ ـ ١٢٧٠

١ ـ محمد علي

ولي محمد علي باشا مصر وسلسلة الفتن محكمة حلقاتها وعقد الحوادث صعب حلها والاضطراب عام في جميع الانحاء

والعرب تمرد فى النواحى والمناسر تقطع الطرق والعساكر يجلبون على الاهالى كل داهية والامراء المصريون يعيثون فى البلاد ويخربونها واذا ارسل لقتالهم عساكر زادوا عنهم فى الفساد أضعافا مع ما بين فرقهم من العداوة فالارنؤد تخالف الانكشارية والدلاة تعادى كل فرقة وكلهم معاد للاهالى عاص للوالى . هذا هو حال مصر لاول ولاية ذلك البطل . أخذ يستميل قلوب المشايخ أصحاب الكلمة كالسيد عمر مكرم والشيخ الشرقاوى والشيخ الداوخلى حتى صاروا معه فصار يستعين بهم فى حل المشاكل

ولم يكن ما يعاكسه فى اصلاح الحال بمصر سوى رؤساء المماليك الذين ظالما أفسدوا فى الارض فكان همه موجها الى الاستراحة منهم . وصادف ان قامت بالحجاز فتنة الوهابيين واستولوا على الحرمين فطلبت الدولة من محمد على أن يرسل جيشا مصريا لاسترداد هذه البلاد المقدسة فاستعد الامير لذلك واتخذ دار صناعة (ترسانة) ببولاق لعمل المراكب فعمل منها عدة وأرسلت على الجمال الى السويس فتركبت هناك ثم سار

اليها بنفسه سنة ١٢٢٥ ورتب أمره ثم عاد وقلد ابنه طوسون قيادة الجند الذى أعده للسفر وأظهر انه يريد الاحتفال بالباس ابنه طوسون الخلعة التى سيرتها اليه الدولة وأعلن ذلك لكافة الامراء الذين فى البلد وان يكونوا فى القلعة فى الساعة الرابعة من يوم الجمعة ٥ صفر سنة ١٢٢٦ فحضروا ولم يتأخر منهم أحد بعد ان احكم الامر فى قتلهم ولما انتظم عقد الموكب سار المنتظمون فيه حتى اذا انحصر الامراء بين باب العزب والباب الاعلى فى المضيق صدرت اشارة الى الرجال الذين أعدوا على الجانبين فأطلقوا بنادقهم فأصاب الرصاص الامراء من اليمين ومن الشمال ومن خلفهم ورأوا الباب موصداً أمامهم وخط الرجعة مقطوعا عليهم فلم ينج منهم أحد واستمر القتل من ضحوة النهار الى العشاء ثم تتبع العسكر من كان منهم بالارياف فأجهزوا عليهم ولم ينج الا من فر بنفسه الى السودان او استتر حتى مات ونهبت دورهم وامتلكت الارنؤد أموالهم . وبعد ذلك طاف محمد على بالبلد وأمن أهله وبذلك عد نفسه أميراً حقيقيا على مصر لا يعوقه عن اصلاحها عائق فشرع فى تخليص القطر

من أوحاله . وقد جعل أهم شئ ينظر اليه فى الاول هو ارضاء الدولة العلية حتى لا يرى منها فى المستقبل مايعارض مقصده فأرسل الجند المعد للحجاز وعليه ولده طوسون فذهب وأخمد فتنة الوهابيين واسترد منهم مكة والمدينة وتسلم مفاتيح الحرمين وبعد ان أتم ذلك سافر محمد على بنفسه الى الحجاز فى شوال سنة ١٢٢٨ ورتب أمور الحجاز أحسن ترتيب وقبض على الشريف غالب وولى مكانه ابن أخيه يحيى بن سرور وقد مكث بالحجاز الى جمادى الثانية سنة ١٢٣٠ الى أن تم أمره فرجع وكان ذلك سببا فى الرضاء التام عنه من جهة الدولة

ثم اهتم بعد ذلك بوضع النظام الذى يمكن مصر أن تسير عليه كما تسير الدول ذوات الشأن وبنى الحصون بالاسكندرية ورشيد ودمياط واهتم بتأمين الطرق ومساعدة التجار من الافرنج وغيرهم حتى اطمأنوا بعد الخوف وسكنوا ثغر الاسكندرية وجلبوا الى مصر أنواع التجارات .

ثم اهتم بعد ذلك بأكبر الاشياء لديه وهو أن يجعل عسكر مصر نظاميا كهيئة العساكر الافرنجية فصادفته فى البدء صعوبات

ثم تغلب عليها بحكمته واستعان برجلين أوروباويين أحدهما اسمه سرى والثانى اسمه سيف وهو الذى أسلم بعد وترقى وعرف بسليمان باشا الفرنساوى وكان هذا الترتيب والتعليم بعيداً عن القاهرة وبعد سنتين دخلت العساكر منظمة الى القاهرة بهيئة اوهشت الناس وهذه أول مزية جناها فلاحو مصر إذ صار جند القطر المحافظ عليه منهم بعدان كانوا كالسلع تتحكم فيهم الاجناد

ثم وجه همه لانشاء الاساطيل البحرية فصنع منها عدة واستعان بجماعة من الاوروباويين جعلهم من جملة خدمتها وأنشأ مدرسة بحرية وأدخل فيها جملة من الشبان المصريين وجلب اليها مهرة المعلمين . ثم أنشأ مدرسة الطب بجهة أبى زعبل وعين لها الماهر كلوت بك الذى لا يزال اسمه معروفا لعامة المصريين بالشارع الذى سمى باسمه بالقاهرة

وبالجملة فهو أول من وضع البذرة العلمية فى رؤوس المصريين واستعمل فى ذلك الطرق الشديدة لان المصريين فى ذلك الوقت لم يكونوا يفقهون صوالحهم فكانوا يؤخذون

للتعليم جبرا ونحن نرى كيف اينعت هذه الثمرة

ومع اهتمامه بهذا الترقى الادبى اهتم جداً بالامور المادية فبذل جهده فى اصلاح الرى ووضع أساس تلك القناطر العجيبة برأس الدلتا وهى التى تعرف بالقناطر الخيرية فكانت ولا تزال مصدر الخير لاهل الوجه البحرى فصاروا بها يتمكنون من ارواء أراضيهم بسهولة خصوصا بعد مادخلها من التحسينات بفتح هذه الرياحات التى تأخذ الماء منها

وهو أول من أدخل زراعة القطن بمصر بأرشاد أحد الفرنسيين المسمى جوميل وبعد قليل بيع محصوله للافرنج نحو مائتى الف قنطار وهذا القطن هو الذى عليه الآن مدار الثروة المصرية . وكذلك جلب نبات النيلة والافيون وقصب السكر وصنع له معامل وجدد ورشا لغزل القطن وفتح الشوارع وغرس الاشجار حول القاهرة

وعلى الجملة فهو قد وضع أساسا حسنا لاخراج هذا البلد من ظلمات الجهالة الى نور العلم وانتشالهم من وهدة الفقر والخراب الى ذروة الغنى والعمران . وهو الذى فتح

البلاد السودانية وألحقها بملك البلاد المصرية

ومما لم نكن نحب حصوله تلك الحرب الهائلة التى حصلت بين محمد على وبين الدولة العلية

وسببها تغير كان بين محمد على وبين والى الشام عبدالله باشا أدى الى ارسال الاول جنوده المصرية لاخذ الشام منه فافتتحها الجند بقيادة الامير ابراهيم بن محمد على ولما رأت الدولة ذلك أرادت صده بعساكر أرسلتها اليه فقهرها مرتين احداهما بقرب حمص والاخرى بقرب بعلبك . ولما بلغ ذلك مسامع السلطان محمود مال الى مسالمة محمد على فاشترط هذا أن يكون كل ما افتتحه تحت امرته فلم يرض السلطان بهذا الشرط وسير جنداً عظيما لمقاتلة أهل مصر فالتقى الجندان بنواحى قونيا وانتصر المصريون انتصاراً عظيما وأسر محمد رشيد باشا قائد الجنود التركية ولما علم السلطان بذلك استعان بدول أوربا وقد ختمت المداولات بمعاهدة كوتاهية التى كتبت فى ١٤ مارس ١٨٣٣ ومضمونها بقاء ولايتى مصر والشام لمحمد على وعدن والحرمين لابنه ابراهيم . ولكن الامر لم

يصف له ببلاد الشام فان الدروز كانوا ضد ابراهيم والمارونية كانوا معه فاستعان بهؤلاء على أولئك حتى تم له اخماد تلك الثورات . أما الدولة فانها لم تزل تستعد للايقاع بالجنود المصرية المعسكرة بالشام فرتبت جنداً تحت قيادة حافظ باشا وأرسلته الى الشام فالتحم مع الجند المصري بنواحي نصيبين وانجلت الوقعة عن نصرة المصريين

وفي هذا الوقت توفي السلطان محمود وخلفه السلطان عبد المجيد فرأى محمد علي أن أفضل شيء هو حل المسألة بطريقة الود وجرت المخابرات بين الفريقين حتى تم الاتفاق على أن الروسيا وبروسيا وانجلترا وفرنسا يمعنون النظر في حلها ولم يلبث محمد علي أن جاءه الفرمان بولاية مصر يرثها من بعده من أبنائه وأن له ولاية عكا مدة حياته فأغضب ذلك محمد علي ولم يرضه وطلب أن تكون له الشام كلها فأبت ذلك الدول المتداخلة وتألبوا على جنود محمد علي بالشام لترجع الى مصر فاضطر ابراهيم الى الرجوع بعد أن عانى شدائد عظيمة وحينئذ أمضى السلطان العقد المؤرخ ١٢ يناير سنة ١٨٤١ ومن ضمنه أن يكون

محمد على واليا على مصر مدة حياته ومن بعده لاكبر أولاده وحفدته وأن يورد للخزينة كل سنة ثمانين الف كيس وأن لا يزيد عدد العساكر المصرية عن ١٨٠٠٠ بشرط أن تكون ملابسهم كملابس عسكر السلطان وتم الامر على ذلك وبهذا استراح خاطر محمد على باشا بعد تلك الحروب الطويلة

ومن آثار محمد على ذلك الجامع العظيم بقلعة الجبل وهو الذى دفن فيه

ولم يزل محمد على واليا على مصر حتى أصابه مرض اضطره للتخلى عن ادارة البلاد لابنه وولى عهده الامير ابراهيم باشا

الدرس السادس والاربعون

٢ - ابراهيم باشا

كان في أيام ولاية والده سر عسكر الجنود المصرية وبعد اعتزال والده جاءه فرمان الباب العالى بتوليته بلاد مصر ولكن

لم يطل عهده فانه توفى بعد أحد عشر شهراً سنة ١٢٦٥

﴿ ٣ ـ عباس باشا الاول ﴾

هو حفيد محمد على ابن ولده طوسون ولى بعد وفاة عمه ابراهيم لانه كان أكبر أبناء محمد على وفى عهده توفى جده محمد على فى أواسط رمضان سنة ١٢٦٦ ودفن بالجامع بقلعة الجبل وكان عباس مهتما بحال الامن فى البلاد حتى انه كان يعاقب على التهمة وكان يسير بالليل مستخفيا فى أزقة مصر يتعهد أحوال أهلها وكان يحب الاولياء خصوصا أهل البيت ويعمل لهم الليالى الخيرية فى مساجدهم الى أن توفى شهيدا بقصره الذى أنشأه ببنها سنة ١٢٧٠

﴿ ٤ ـ محمد سعيد باشا ﴾

وهو ابن محمد على ولى بعد وفاة ابن أخيه عباس وقد ولى قبل ذلك رياسة البحرية بعد تعلمه فنها وكان محبا للجهادية مولعا بجمع العساكر المصرية مغدقا عليهم نعمه لا يقر له قرار إلا معهم وفى وسطهم ورقى رتب الكثير منهم وكانت تعرض

عليه القضايا والمهمات وهو بينهم لا يفارقونه أين حل أو ارتحل وكان كثير التنقل بهم من مصر الى الاسكندرية ثم الى مريوط وقصر النيل . ومن الاعمال الكبيرة التى حدثت فى عهده فتح قناة السويس التى توصل بين البحر الاحمر والبحر الابيض المتوسط وتفصل بين آسيا وأفريقية وكان ينتظر منها نفع عظيم لمصر ولكن تلك المنافع استأثر بها أهل أوروبا وأعظمهم الفرنسيون والانجليز

ومن أعظم مآثره لائحة الاطيان السعيدية وهى التى أمنت الفلاح على ما بيده من الارض فأقبل على اصلاحها وزراعتها. ومنها لائحة المعاشات السعيدية التى استفاد منها المستخدم أعظم فائدة

توفى فى ٢٧ رجب سنة ١٢٧٩ باسكندرية

﴿ ٥ ـ اسماعيل باشا ﴾

هو ابن ابراهيم بن محمد على وهو ثانى أنجاله ولد سنة ١٢٤٥ وولى الخديوية المصرية بعد وفاة عمه سعيد باشا فى ٢٨ رجب

سنة ١٢٧٩ وعمره أربع وثلاثون سنة . وهو الذي وسع نطاق التجارة وأكثر من فروع السكك الحديدية والتلغرافات وفي أيامه كثر عدد المدارس بمصر وأوجد دار الكتب العربية ودار الآثار المصرية وبنى مدينة الاسماعيلية ثم التفت الى مدينة مصر فنظمها بتوسيع شوارعها وتأسيس الابنية العظيمة كبهى الاوبرة بمصر وزينها باسكندرية وشيد القصور الفخيمة وفي عهده فتح رسميا قنال السويس وصرفت الحكومة على الاحتفال به قدرا عظيما وكانت كل هذه الاعمال مع ما كان عليه اسماعيل من السرف سببا لمد يده نحو أوروبا مقترضا ما يسد به حاجاته فأقرضوه ماشاء بالربا الفاحش ولم تنل البلاد من هذه الديون فوائد توازي ما أثقل به كاهلها وفي آخر الامر اضطربت الامور المالية بمصر وخشي الدائنون على ديونهم فاضطر اسماعيل إلى الاستقالة في رجب سنة ١٢٩٦ بعد سبع عشرة سنة من بدء ولايته

وفي أيامه تعدلت الوارثة الخديوية فبعد أن كانت لأكبر الاسرة العلوية صارت في صلب اسماعيل لاكبر أولاده ثم لاكبر أولاد من بعده ممن يتولى الخديوية

٦ ـ محمد توفيق باشا

هو أكبر أنجال اسمعيل باشا ولد فى يوم الخميس ١٠ رجب سنة ١٢٦٩ وولى مصر بعد استقالة والده فى ١٧ رجب سنة ١٢٩٦ وعمره ٢٧ سنة وكانت امرته رحمه الله فاتحة عصر الاصلاح فى حالة الفلاح فانه ألغى كثيراً من الضرائب التى كانت متعددة الانواع حتى كان الفلاح لا يعرف ما عليه من كثرة ما يطلب منه ثم أمر بتشكيل لجنة التصفية وهى التى أمنت الدائنين على ديونهم وحفظت للفلاح الحق فيما دفعه من المقابلة وقسط الاموال على الاطيان فى أوقات معينة وأبطل ما كان يستعمل فى تحصيلها من الشدة والقسوة وجعل المال دينا على الارض تباع فيه اذا تأخر صاحبها عن دفعه فى الميعاد فتنفس الفلاح نسيم الحياة وأمن على نفسه وماله

ثم وجه فكرته لأمر التعليم ففتحت المدارس على اختلاف درجاتها ووسع دائرة المدارس العالية ففتحت فى أيامه مدرسة

دار العلوم وأنشئت المدرسة التوفيقية والمدرسة الخديوية وغير ذلك

ولما كان من أهم ما يحسن الحال ويؤمن الاهالى العدل بين الناس فيما يكون بينهم من القضايا وجه همه لتأسيس المحاكم النظامية وبها أمن الناس على حقوقهم

واهتم بأمر الرى لانه الدعامة لثروة هذا القطر فجددت الترع وأنشئت القناطر ورفعت المونة والسخرة عن الفلاحين وصار تطهير الترع وانشاؤها من أعمال الحكومة تجريه بنفسها

وقد أمر بانشاء مجلس نواب ليشترك معه الاهالى فيما يرقى درجتهم ويحسن حالهم . ولم يزل الامر جاريا على هذا السنن من التقدم والفلاح حتى جاءت الثورة العرابية فأخرت ما كان ينتظر من هذا التقدم ولم تزل البلاد مضطربة حتى انتهى أمرها بالاحتلال الانجليزى وقد كانت هذه الثورة سببا فى ازدياد الدين على البلاد

وقد أخذت الحكومة بعد ذلك فى اصلاح الحال والعودة

الى ترقية الامة فسارت فى ذلك سيراً محموداً ولكنهم رأوا بعد انتهاء الثورة الغاء مجلس النواب والاستعاضة عنه بمجلس شورى القوانين ومجالس المديريات

ولم يزل الخديو توفيق رحمة الله على عرش مصر حتى توفى بمدينة حلوان فى سنة ١٣٠٩ فنقل الى مصر ودفن بجهة العفيفى

الدرس السابع والاربعون

٧ - عباس حلمى الثانى

فى ثامن يناير سنة ١٨٩٢ (٨ جمادى الثانية سنة ١٣٠٩) رقى مولانا عباس حلمى باشا الثانى عرش الامارة المصرية بعد وفاة أبيه محمد توفيق باشا رحمه الله

وعصره لمصر عصر راق جداً اذا قورن بما سبقه من عصور آبائه تغمدهم الله برحمته فاما اذا قورن بما قبل ذلك فهو عصر ذهبى نسأل الله أن يزيدنا دائما من حسناته ويجعل خطونا فيه للامام

فى هذا العصر ضمنت للفلاح حريته وأمنه على نفسه ومآله فلا مجال لحاكم أن يعبث بشئ من ذلك . هو حر أن يزرع في أرضه ما شاء من أنواع المزروعات التى ينال منها قوته وربحه (الا الدخان) لا يطالب بشئ الا الضريبة المعينة المنظمة وقد ازيحت عنه المظالم الكثيرة التى كان ينوء بحملها . وهو حر في ماله يتصرف فيه كيف يهديه عقله . وهو حر فى نفسه ولا تسلب حريته الا بحق من الحقوق العمومية حسبما ترى فى ذلك المحاكم النظامية العادلة . ولا يسوء الناس الا أهل الشر من أنفسهم فهم الذين يمكرون هذا الصفاء بسوء تربيتهم ولا بد من صلاح هذا الحال متى عمت التربية بهمة القائمين بها

والصانع حر في اختيار العمل الذى يقيم معيشته فان كان صادق العزيمة عالى النفس أفاد أمته وأفاد نفسه وان كان خاملا كسولا لم يكن له هم الا مايسد به جوعه فرضى بالدون والخسيس من الاعمال . ومثل الصانع التاجر والعامل

فى هذا العصر عنيت الحكومة باصلاح التعليم وتعميمه بين طبقات الامة فاهتمت بأمر الكتاتيب التى يتلقى فيها الفلاح

المصرى أول تعاليمه وهى أساس الاصلاح للمصرى فمتى صلحت صلح ورقى . وكذلك اعتنت بالمدارس الابتدائيه والتجهيزية والعالية حتى كثر المتعلمون وساعد الحكومة على ذلك جماعات من محبي الخير لقومهم فأسسوا جمعيات منظمة لنشر التعليم بين طبقات الأمة وفى مقدمتها الجمعية الخيرية الاسلامية التى يرأسها صاحب الدولة الامير الجليل حسين كامل باشا عم الامير المعظم وجمعية العروة الوثقى باسكندرية وجمعية المساعى المشكورة بشبين الكوم وغيرها من الجمعيات وكلها تتعاون على نشر التعليم

وقد اعتنى الامير المعظم بالازهر الشريف وهو أكبر معهد علمى دينى فى مصر وتعاونت الامة على انشاء جامعة علمية نسأل لها حياة طيبة وعلى الجملة فهذا العصر يبشرنا بخير مستقبل فنسأل الله أن يطيل عمر مولانا الامير المعظم ويسدده فى قوله وفعله حتى يكون أعظم عون لاهل مصر فيما يرجونه من السعادة

obeikandl.com

فهرس

صحيفة	
	(الدرس الاول)
٢	جزيرة العرب
٣	أصل العرب
	(الدرس الثانى)
٤	العرب البائدة
٧	معيشة العرب
	(الدرس الثالث)
٧	مدنية العرب قبل الاسلام
	(الدرس الرابع)
١٢	دين العرب
١٥	أخلاق العرب
	(الدرس الخامس)
١٧	لغة العرب وآدابهم وعلومهم

صحيفة	
	(الدرس السادس)
٢٢	حالة العرب الاجتماعية قبيل الاسلام
	(الدرس السابع)
٢٤	سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم
	(الدرس الثامن)
٢٨	العرض على القبائل
٣٠	الهجرة
٣٠	أعمال مكة
٣٢	(الدرس التاسع)
٣٢	مشروعية القتال
٣٣	بدء القتال
٣٤	غزوة بدر

obeikandl.com

صحيفة

٣٥ غزوة قينقاع
٣٥ غزوة أحد
(الدرس العاشر)
٣٧ غزوة بنى النضير
٣٨ غزوة الخندق
٣٩ غزوة بنى قريظة
٣٩ عمرة الحديبية
٤٠ غزوة خيبر
(الدرس الحادى عشر)
٤١ فتح مكة
٤٢ غزوة تبوك
٤٣ حجة الوداع
(الدرس الثانى عشر)
٤٤ أخلاق رسول الله صلى الله عليه وسلم

صحيفة

(الدرس الثالث عشر)
٤٩ معجزاته عليه السلام
(الدرس الرابع عشر)
٥٣ خلافة أبى بكر
(الدرس الخامس عشر)
٥٩ خلافة عمر بن الخطاب
(الدرس السادس عشر)
٦٤ خلافة عثمان
٦٦ خلافة على
(الدرس السابع عشر)
٧٢ الدولة الاموية
٧٤ معاوية الاول
٧٥ يزيد الاول
٧٧ معاوية الثانى

صحيفة

(الدرس الثامن عشر)

٧٨ الاسرة المروانية

٧٨ مروان الاول

٧٨ عبد الملك

٧٩ الوليد الاول

٨١ سليمان

٨١ عمر

٨٢ يزيد الثانى

(الدرس التاسع عشر)

٨٣ هشام

٨٤ الوليد الثانى

٨٤ يزيد الثالث

٨٥ مروان الثانى

(الدرس العشرون)

٨٧ الاندلس

صحيفة

(الدرس الحادى والعشرون)

٩٢ الامويون والاندلس

٩٤ عبد الرحمن الاول

٩٤ هشام

٩٥ الحكم

٩٦ عبد الرحمن الثانى

٩٨ محمد

٩٨ المنذر

٩٨ عبد الله

(الدرس الثانى والعشرون)

٩٩ عبد الرحمن الناصر

١٠١ الحكم المستنصر

١٠٢ هشام المؤيد

(الدرس الثالث والعشرون)

١٠٤ محمد المهدى

obeikandl.com

صحيفة		صحيفة	
١٠٦	الملويون بالاندلس	١٣٧	موسى الهادى
١٠٧	ملوك الطوائف		(الدرس السابع والعشرون)
١٠٨	الملثمون	١٣٧	هرون الرشيد
	الدرس الرابع والعشرون)	١٤١	محمد الامين
١٠٩	الموحدون	١٤٢	عبد الله المأمون
١١٤	دولة بنى الاحمر	١٤٤	محمد المعتصم
	(الدرس الخامس والعشرون)		(الدرس الثامن والعشرون)
١١٧	عبرة من تاريخ الاندلس	١٤٧	هرون الواثق
١٢٠	حال الاندلس فى	١٤٧	جعفر المتوكل
	الملك الاسلامي	١٤٨	محمد المنتصر
	(الدرس السادس والعشرون)	١٤٩	أحمد المستعين
١٢٦	الدولة العباسية	١٥٠	محمد المعتز
١٢٩	محمد السفاح	١٥١	محمد المهتدى
١٣١	عبد الله المنصور	١٥١	أحمد المعتمد
١٣٦	محمد المهدى	١٥٢	احمد المعتضد

صحيفة

١٥٣ على المكتفى
١٥٣ جعفر المقتدر
١٥٤ محمد القاهر
١٥٤ أحمد الراضى
١٥٤ أبراهيم المتقى
١٥٥ عبد الله المستكفى
١٥٥ الفضل المطيع
(الدرس التاسع والعشرون)
١٥٧ عبد الكريم الطائع
١٥٧ احمد القادر
١٥٨ عبد الله القائم
١٥٩ عبد الله المقتدى
١٦٠ احمد المستظهر
١٦١ الفضل المسترشد
١٦١ المنصور الراشد

صحيفة

١٦١ محمد المكتفى
١٦٢ يوسف المستنجد
١٦٢ الحسن المستضىء
١٦٢ احمد الناصر
١٦٤ محمد الظاهر
(الدرس الثلاثون)
١٦٤ المستنصر بالله
١٦٤ المستعصم
١٦٥ عموميات فى الدولة العباسية
(الدرس الحادى والثلاثون)
١٧٠ دولة بنى بويه
١٧٢ معز الدولة
١٧٢ بختيار
١٧٣ عضد الدولة

صحيفة	
١٧٥	صمصام الدولة
١٧٥	شرف الدولة
١٧٥	بهاء الدولة
١٧٦	سلطان الدولة
١٧٧	مشرف الدولة
١٧٧	جلال الدولة
١٧٨	أبو كاليجار
١٧٨	خسروفيروز
	(الدرس الثانى والثلاثون)
١٧٩	الدولة السلجوقية
١٨١	الب ارسلان
١٨٢	ملك شاه
١٨٤	بركياروق
١٨٥	محمد
١٨٥	محمود

صفحة	
١٨٦	مسعود
١٨٦	ملكشاه
	(الدرس الثالث والثلاثون)
١٨٧	دولة آل سبكتكين
١٨٨	محمود بن سبكتكين
١٨٩	محمد
١٩٠	مسعود
١٩٠	مودود
١٩١	عبد الرشيد
١٩١	فرخزاد
١٩١	ابراهيم
١٩١	مسعود
١٩٢	ارسلانشاه
	(الدرس الرابع والثلاثون)
١٩٤	تاريخ مصر

صحيفة

(الدرس الخامس والثلاثون)

٢٠١ الدولة الطولونية

٢٠١ احمد بن طولون والقطائع

٢٠٣ خمارويه

٢٠٦ جيش

٢٠٧ هرون

٢٠٧ شيبان

(الدرس السادس والثلاثون)

٢٠٩ الدولة الفاطمية والقاهرة

٢١٣ العزيز بالله نزار

٢١٣ الحاكم بالله منصور

٢١٥ الظاهر على

٢١٦ المستنصر بالله معد

٢١٨ المستعلى احمد

صحيفة

(الدرس السابع والثلاثون)

٢١٨ الآمر منصور

٢٢٠ الحافظ عبد المجيد

٢٢٠ الظافر اسماعيل

٢٢١ الفائز عيسى

٢٢١ العاضد عبدالله

(الدرس الثامن والثلاثون)

٢٢٧ الدولة الايوبية

٢٢٨ صلاح الدين يوسف

٢٢٩ العزيز عثمان

٢٣٠ المنصور محمد

٢٣٠ العادل أبو بكر

٢٣١ الكامل محمد

٢٣٢ العادل أبو بكر

٢٣٢ الصالح أيوب

صحيفة		صحيفة	
٢٣٣	المعظم توران شاه	٢٤٣	العادل كتبغا
٢٣٤	شجرة الدر	٢٤٤	المنصور لاجين
٢٣٥	عمـوميات على الدولة الايوبية	٢٤٥	المظفر بيبرس
		٢٤٦	أولاد الناصر
	(الدرس التاسع والثلاثون)		(الدرس الاربعون)
٢٣٧	دولة المماليك	٢٤٨	دولة الشراكسة
٢٣٧	المعز أيبك	٢٤٨	الظاهر برقوق
٢٣٨	المنصور على	٢٤٩	الناصر فرج
٢٣٩	المظفر قطز	٢٥٠	المتصور عبد العزيز
٢٣٩	الظاهر بيبرس	٢٥٠	المؤيد شيخ
٢٤١	السعيد محمد	٢٥٢	المظفر أحمد
٢٤١	العادل سلامش	٢٥٢	الظاهر ططر
٢٤٢	المنصور قلاون	٢٥٢	الصالح محمد
٢٤٢	الاشرف خليل	٢٥٣	الاشرف برسباى
٢٤٣	الناصر محمد	٢٥٣	العزيز يوسف

obeikandl.com

صحيفة

٢٥٣ الظاهر چقمق
٢٥٤ المنصور عثمان
٢٥٥ الاشرف اينال
٢٥٥ المؤيد احمد
٢٥٥ الظاهر خشقدم
٢٥٦ الظاهر بلباى
٢٥٦ الظاهر تمربغا
(الدرس الحادى والاربعون)
٢٥٧ الاشرف قايتباى
٢٦١ الناصر محمد
٢٦١ الظاهر قانصوه
٢٦٢ الاشرف جنبلاط
٢٦٢ العادل طومان باى
٢٦٢ الاشرف قانصوه الغورى

صحيفة

(الدرس الثانى والاربعون)
٢٦٣ الاشرف طومان باى
٢٦٤ عموميات على دولة المماليك
(الدرس الثالث والاربعون)
٢٦٨ مصر تحت حكم الدولة العثمانية
(الدرس الرابع والاربعون)
٢٧٠ مصر تحت حكم الفرنسيين
(الدرس الخامس والاربعون)
٢٨١ مصر فى عهد العائلة المحمدية العلوية
٢٨١ محمد على باشا

صحيفة

(الدرس السادس والاربعون)

٢٨٩ ابراهيم باشا

٢٩٠ عباس باشا الاول

٢٩٠ محمد سعيد باشا

صحيفة

٢٩١ اسماعيل باشا

٢٩٣ محمد توفيق باشا

(الدرس السابع والاربعون)

٢٩٥ عباس باشا حلمى الثانى

obeikandl.com